واقع الحركة المسرحية بالمغرب

عبد الكريم برشيد

اطلالة على المهرجان الثامن عشر لمسرح الهواة

عرفت مدينة وجدة في التاريخ ما بين 24 و 31 من شهر مارس تظاهرات ثقافية وفنية مهمة . وذلك بمناسبة انعقاد المهرجان الثامن عشر لمسرح الهواة.

ولقد واكبت العروض لقاءات ثقافية تضمنت ندوات ومناقشات للعرض . فقد نظم فرع اتحاد كتاب المغرب ندوة جمعت بين بنعمارة وبودلال وبرشيد ، وكان موضوعها (المسرح المغربي واقعا ومستقبلا) وقد افتتحت الندوة باعطاء مدخل تاريخي حول مفهوم المسرح ومولده وتطوره ثم دخوله أخيرا في المجتمع العربي . ولقد تولى ذلك برشيد الذى تتبع الحركة المسرحية بالمغرب وذلك من خلال التجارب والفرق والاسماء . أما بنعمارة فقد أثار مجموعة من القضايا التي لها مساس بمشكل التأصيل والبحث عن صيغة مسرحية متميزة. وتولى بودلال الحديث عن قضية التجهيز المادى وتكوين الاطر المسرحية وايجاد بنية تحتية للمسرح المغربي .

وبمناسبة اليوم العالمي للمسرح دعت جمعية الفانوس الاحمر الى محاضرة بعنوان (((آفاق مسرح الهواة) وقد ألقاها عبد الكريم برشيد الذى أدار من خلالها أطروحته عن المسرح الاحتفالي ، وموقفه من ظاهرة المسرح الفردى . كما أنه توقف قليلا عند اسم مسرح (الهواة) . فهو يرى أن هذه التسمية لا تعني شيئا لانها تمس الشكل دون الجوهر ، فهناك حقا فرق بين المسرح الرسمي وهذا الاتجاه ، ولكنه فرق في نوعية الرؤية ، وفي الزاوية المتميزة ، وفي المضامين الجديدة وفي الاشكال المسرحية المتطورة والمواكبة لهذه المضامين .

أما من حيث العروض المسرحية فان المستوى كان هذه السنة على جانب كبير من الاهمية اذ ان كل العروض كانت جادة وهادفة . ويلاحظ أن الرمز الاسطورى والتاريخي وجد مكانه أخيرا بين الكتابات . وقد وظف بطريقة سليمة وانطلاقا من أرضيات صلبة . كما أن اللغة العربية أصبحت وسيلة التبليغ الاساسية في الكتابات الجديدة . وقد كشف المهرجان هذه السنة عن

طاقات هائلة في ميدان الاداء المسرحي . الشيء الذى لم يلاحظ من قبل .

واذا أردنا القاء نظرة سريعة على العروض المسرحية فاننا سنجد أنه في اليوم الاول من المهرجان قدمت مسرحية (الارض والانسان) لفرقة المسرح البلدى بمدية وجدة . وهي تنويع جديد لتجربة قديمة (سجل التاريخ) فالعرض يثير مجموعة كبيرة من القضايا بشكل استعراضي يجمع بين الرقص والغناء والنكتة والايماء ، كل ذلك في اطار مسرحي مكشوف يلغي الستار والكواليس وكل المؤثرات الصوتية الخارجية . انها تجربة طلائعية ولكن من حيث الشكل فقط . أما من حيث المضمون فهي تكتفي بأن تثير القضايا وأن تغازلها من بعيد .

والمسرحية من تركيب جماعي واخراج العزاوى بن يحيى

أما المسرحية الثانية فهي (مرايا الزمن المحزون) وهي تاليف جماعي أما الاخراج فقد كان لعبد الرزاق بن عيسى . ولقد ابتدأت المسرحية بداية حسنة ولكنها انتهت نهاية سيئة . ابتدأت كمسرحية ، وانتهت كشريط سينمائي في المغامرات . لقد استطاع المخرج ان يحرك الممثلين بذكاء وأن يوجد جو روما . فالمسرحية تبتدىء مع شهرزاد وهي في ليلتها الثانية بعد الالف . وتحكي شهرزاد قصة العبيد في روما وثورتهم ضد الاسياد . وتسير الاحداث في تواز بديع يقابل بين معاناة شهرزاد المهددة بالموت في كل لحظة، ومعاناة العبيد الذين يعملون على مراجعة قوانين روما في الملك والعمل ، وتنتهي المسرحية بوهم كبير يتلخص في موت شهريار السفاك وموت القيصر ، وهو موت فني يعني الجمهور من التحرك والفعل على مستوى الواقع ، ويسكب ماء باردا على غضبه الذى فجرته الاحداث في البداية . من هنا تكون المسرحية قد فتحت بابا كبيرا للتنفيس . ولقد كان المفروض أن تنتهي الاحداث بدون نهاية ، لان النهاية من صنع الكل ، وعلى أرض الواقع ، لا على الخشبات حيث الخيال هو الاساس .

أما المسرحية الثالثة فهي (الحرباء) وهي من تاليف واخراج واداء الحورى الحسين . وهو ممثل مقتدر عرفه الجمهور المسرحي من خلال مجموعة من الاعمال المسرحية الجادة ، وتدخ لتجربته هاته في اطار المسرح الفردى . اذ أن الاحداث تدور حول شخصية واحدة حقيقية ، ومجموعة أخرى من الشخصيات الوهمية (أم النعيم) ـ صاحب الحذاء ـ صاحب البدلة ـ) ولقد توسل حورى من خلال المسرح التحريضي الى ادخال الجمهور كشخصية في مسرحيته . لذلك فقد حدثنا عن قصته مع الناس . أولئك الذين يشكلون طاقة هائلة ، ولكنها معطلة . لذلك تهتز الكراسي ويتحرك من فوقها ، وتتحول المسرحية الى لعبة جماعية يساهم في خلقها الجميع وتعالج المسرحية كل القضايا التي تميز العالم الثالث من غياب للدمقراطية وتبعية للقوى الكبرى واغتيالات سياسية غامضة ومحاولات لشراء الضمائر ومسخها . ولقد استخدم

المؤلف ـ المخرج مجموعة من الوسائل التعبيرية المختلفة لتجسيد هذه المعاني وذلك مثل نزول بحلة عسكرية من فوق . ومن خلال ادخال الدمى كشخصيات مسرحية . وتبقى المسرحية في النهاية تجربة ناضجة تعتمد على التحريض وعلى أقلال الجمهور ومحاولة هدم كل القواعد الكلاسيكية للفرجة الممتعة .

اما في اليوم الرابع فقد قدمت فرقة المعهد الملكي لتكوين الاطر مسرحية (هاينة) وهي تركيب مسرحي جماعي قدم على هامش المهرجان . وهو ينطلق اساسا من الاسطورة ليعالج قضية الصحراء . وذلك من خلال رمزية ساذجة ومتخلفة ، تصور الصحراء كعروسة سجينة والمغرب هو العريس المخلص .

اما مسرحيه (الوارثون والدار) فقد قدمتها فرقه المسرح الادبي بقطوان وهي من تاليف احمد الدحروش واخراج عبد الواحد السقاط . لقد انطلق المؤلف من فكرة ذات دلالات موحيه حول دار تداعت للسقوط وتعددت نظريات الورثه في كيفيه اصلاحها . كما تشير الى حصار داخل الحجارة وذلك من جراء زلزال يصيب الدار ويسد كل المنافذ . والاحداث تنتقل من عالم الواقع الى عالم الاحلام ، وقد اضر هذا التداخل كثيرا بالحدث الاساسي اذ كان يعمل على تشتيت الذهن . فالشخصيات مرسومه بشكل دقيق يكشف عن خفاياها النفسيه والفكريه ، كما ان موقف المؤلف واضح جدا ، قد تختلف معه ولكنك لا تملك الا ان تحترمه . فالمسرحيه عمل جاد ولم تكن تحتاج الا للمسات فنيه بسيطه تمس التقطيع لاعطائها ايقاعا اكثر حدة .

اما العمل السادس في المهرجان فهو (المهرج) لمحمد الماغوطي واخراج عبد الله المصباحي . ولقد عملت فرقه الكوميديا على تقديم النص كما هو ولم تلتفت الى ان بناءه غير متماسك . فالفصل الاول يتبرا مما يليه ، ويقترب من ان يكون مسرحية مستقله لا علاقة تربطه بالاحداث الاخرى ، ثم ان الانتقال من عالم المسرح الجوال الى التاريخ تم بطريقة فانتازية لم يكن هناك ما يبررها . فالمسرحية تعتمد على التمثيل داخل التمثيل . ومن خلال هذه الحيلة الفنية كان يمكن للمؤلف ان يستحضر شخصية صقر قريش ، تماما كما فعل مع عطيل وهارون الرشيد .

لقد كان المخرج مطالبا بأن يعيد تركيب المسرحية تركيبا جديدا . ولو فعل ذلك لاعطى مسرحية سليمة البناء الدرامي . كما أن النهاية في المسرحية في حاجة الى مراجعة . انها ادانة للحكم العربي ولكنها تسد الباب أمام كل تفاؤل أو ايمان بالمستقبل . فهي اطلالة على الواقع من زاوية واحدة ، وهي زاوية الحكم العربي ، ولكنها أغفلت الجماهير العربية وهي الاساس . فاذا كان الحكم قد باع صقر قريش فان العرب لم يفعلوا ذلك ، وذلك ما كان يجب على المسرحية ان توضحه . وبالرغم من كل شيء فان فرقة الكوميديا قد أكدت مرة

أخرى حضورها . وذلك بفضل عبد الله المصباحي الذى حاول أن ينعطف بالفرقة انعطافا جادا ويجعلها تبحث عن النص المسرحي الناضج .

وفي اليوم الاخير من المهرجان جاءت مسرحية (قرقوش الكبير) وهي من تاليف عبد الكريم برشيد واخراج ابراهيم وردة . وتدور المسرحية داخل جو غريب يفتقد المنطق والتناسق مما يجعلنا نشعر وكاننا أمام مسرحية للكراكيز . فهي مسرحية كاريكاتورية ساخرة تصور الحزن في المدينة كنتيجة لغياب العدالة وحضور الخوف والرعب والقبح . انها تعرية قاسية لواقع متعفن. فقضايا الناس البسطاء تصبح مجرد موضوع للدرس والبحث عند المفكرين (المحترفين) أما فقرهم فقد أصبح ورقة للمساومة في يد الانتهازيين ، وتصبح حياتهم عند الاطباء التجار مجرد وسائل للاغتناء المادى .

ولان المسرحية طرحت قضايا حساسة لها مساس بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادى للانسان العربي ، فقد كان لا بد أن تثير (كل القرقوشيين) وأن تعطيهم مبررا للهجوم عليها ومحاسبة مؤلفها ، وبهذا فانهم واقعيا يعيدون حكاية تيمور الاعرج في المسرحية . فهو رجل مشوه الخلقة مجذور الوجه واعرج ، ولكنه لا يعرف ذلك ، لان بطانته الموقرة جعلت من المرآة شيئا ممنوعا في المدينة . ولذلك فان تيمور لم يتشرف أبدا برؤية وجهه ولكنه سمع الكثير عن حسنه واتساق ملامحه ، سمع ذلك من خلال كلام شعرائه ومؤرخيه وعلمائه المتملقين . وعندما يدخل دكان قرقوش الحلاق ينكر أن يكون هو ذلك المشوه الموجود في اطار المرآة . لقد تطفت المرآة عندما سكت كل الناس خوفا أو تملقا ، لذلك يأمر تيمور بحبس صاحب المرآة . فالمطلوب من هو محاكمة الواقع المشوه ، لا المرآة التي تعكس الاشياء في أمانة .

اما من حيث الاخراج فقد تمكن ابراهيم وردة من تحريك مجموعة كبيرة من الممثلين وذلك عبر عشرين لوحة تتغير فيها الملابس والادوار والمناظر والاكسسوار والمؤثرات الصوتية والضوئية ، كما أن ممثلي فرقة المسرح الطلائعي قد تمثلوا روح المسرحية الشيء الذى جعلهم يتحركون بطريقة شبه آلية تذكر بالكراكيز

مناظرة حول المسرح المغربي

اتحاد كتاب المغرب

دعا اتحاد كتاب المغرب الى مناظرة حول وضعية المسرح المغربي . ولقد تم ذلك بمدينة الرباط من 14 الى 17 من شهر ديسمبر . ولقد كان هدف الاتحاد يرمي الى (اعادة طرح مسالة المسرح المغربي من منظور يستقطب أهم العناصر المتصلة بوجود المسرح وبانبعاثه وممارسته كشكل تعبيرى

أساسي في مجال الثقافة وتكوين الرأى العام) فالمناظرة اذن جاءت كخلاصة لايمان الاتحاد بدور المسرح الخطير ، وذلك لانه وسيلة تعبيرية محسوسة، تملك وسائل تعبيرية متعددة ، فهو لغة حسية منظورة ومسموعة لها مجالات أوسع وأرحب من اللغة اللفضية التي تعتمد على الكتابة ، فهو اذا أقرب للجمهور العريض المتواجد في المسارح المقفلة أو في الساحات العمومية المفتوحة .

ولقد أوضح الاستاذ محمد برادة في مقدمة احدى الندوات ان (اتحاد كتاب المغرب كان يهدف من وراء تنظيم هذه المناظرة الى فتح المجال أمام رجالات المسرح والمهتمين ليدرسوا وضعية المسرح المغربي ، وما أنجزه خلال السنوات الماضية . وانه ليس من مهمة الاتحاد ان يفرض وجهة نظر في الموضوع دون أخرى أو يساند اتجاها دون اتجاه) ولقد دارت المناظرة عبر أربع جلسات تضمنت مواضيع أربعة . ففي اليوم الاول كان موضوع الندوة (تقييم الكتابة المسرحية) وقد شارك فيها أحمد الطيب العلج وأحمد العراقي وعبد الله شقرون وأحمد بدرى وقد قام بمهمة التنسيق الاستاذ محمد برادة وقد كشفت الندوة عن اتجاهين في الكتابة المسرحية . اتجاه كلاسيكي عاش على موائد المقتبسات والممغربات واتجاه حديث ظهر مع بداية السبعينات وهو الذى وقع الولادة الحقيقية للنص المغربي .

اما الندوة الثانية فقد تناولت موضوع (التقنيات المسرحية بالمغرب) وقد أستدعي لها مجموعة من المخرجين الذين تتباين طرقهم في ميدان البحث والعمل وذلك بحسب اتجاهاتهم وانتماءاتهم المدرسية . ولقد شارك في هذه الندوة كل من عبد اللطيف الدشراوى وفريد بنمبارك واعتذر كل من الطيب الصديقي وعبد الصمد دينية ومحمد تيمد ، وقد أدار النقاش محمد الواكيرة .

أما في اليوم الثالث فقد كانت الندوة تحت عنوان (النقد المسرحي) والمعروف أن النقد الجاد شرط أساسي لنجاح كل حركة مسرحية . ولقد شارك في الندوة كل من (محمد الاشهب) وخالد الجامعي وعبد الله المنصورى) وأدار النقاش الاستاذ أحمد اليابورى . والملاحظ ان الجمهور وهو أساس كل ازدهار مسرحي قد أغفلته المناظرة ، اذ لم تخصص له جلسة خاصة . ولكن الندوة الرابعة والتي كانت تحت عنوان (الآفاق الممكنة أمام المسرح المغربي) قد أعطته اهمية خاصة ، وركزت عليه ، اذ جعلته شرطا أساسيا في كل تطور مسرحي . وقد شارك في هذه الندوة الاخيرة كل من (عزيز السغروشني وعبد القادر البحوى وعبد الكريم برشيد وربيع مبارك) وقد أشار السغروشني الى تجنب الارتجال في التخطيطات المسرحية المقبلة والى الاعتماد على التخطيط المستقبلي البعيد المدى . كما دعا الى الاهتمام بالجمهور . اما عبد القادر البحوى فقد ناقش الفرق الشكلي بين ما يسمى

(مسرح الاحتراف) و (مسرح الهواة) ولقد استخلص من مقدماته انه ليس هناك احتراف بالمعنى الصحيح للكلمة ، كما انه ايضا ، ليس هناك هواية . عبد الكريم برشيد تحدث عن كل الاشياء التي تعنيها كلمة المسرح والتي تشكل في مجموعها هذا النوع من النشاط الفني والفكرى . لقد تحدث عن المسرح كفن وعنه كبناية لها معمار معين وهو معمار موروث ومتجاوز ، اذ انه يخنق الابداع ويمنع من التواصل ويساهم في تكريس الايهام المسرحي ، اما عن الجمهور فقد دعا الى ادخال المسرح في نسيج الحياة اليومية للمجتمع ، اذ يصبح في المدرسة والجامعة كمواد دراسية ، وفي الاوراش والمعامل كنشاط فني مواز للعمل اليدوى ، أما ربيع مبارك فقد تناول بالدرس مسالة التاليف والاقتباس ورأى انه بالامكان تعايشهما. وقد أدار النقاش الاستاذ محمد برادة.

وحتى لا تكون المناظرة مجرد كلام تجريدى وتنظيرات عائمة فقد قام باستدعاء فرقة المسرح الطلائعي حيث قدمت بمسرح محمد الخامس مسرحية (عطيل والخيل والبارود) وهي من تاليف عبد الكريم برشيد واخراج ابراهيم وردة .

ويمكن أن نقول اخيرا عن المناظرة بانها كانت بادرة طيبة من اتحاد كتاب المغرب الذى استدعى كل التيارات المتواجدة في الساحة المسرحية وأتاح لها مجال الحوار الحر .